مجلة التمكين الاجتماعي
المجلد 04 / العـدد 01 / مارس 2022 / ص ص 25 - 35

Journal home page: https://sej-lagh.com
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/644

المرض الفكري الاجتماعي: (قراءة في المفهوم)

social intellectual illness: (Read in concept)

آمال كزيز
Amel Keziz
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، البريد الالكتروني: kezizsabrine@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/17 تاريخ القبول: 2022/03/31 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص:

جاءت هذه الدراسة للتعريف بمفهوم المرض الفكري الاجتماعي كونه أحد المفاهيم التي تحمل مضمون معرفي يساهم في فهم القضايا الاجتماعية والمشكلات المستجدة في المجتمعات؛ وتنطلق هذه الفكرة من الدمج بين كل من مفهوم المرض الاجتماعي لدى "مالك بن نبي" والنظرية الوظيفية الكلاسيكية حول الأنوميا وكل ما يؤدي بوجود خلل معياري على مستوى فهم الفرد، ومن خلال تحليل أهم العناصر التي تم تناولها تم التوصل في هذه الورقة البحثية إلى أن المرض الفكري الاجتماعي عملية ناتجة عن وجود خلل على مستوى شبكة العلاقات الاجتماعية خاصة تلك التفاعلات والأفعال الزائفة (الوهم الاجتماعي للفعل) الذي لا يعبر عن وجود فعل حقيقة ممارس دون تزييف، ما يشكل المرض الفكري الاجتماعي كما يؤدي إلى ظهور مشكلات متعددة .

الكلمات المفتاحية: *المرض، المرض الاجتماعي، المرض الفكري الاجتماعي، الفعل، الأنومي.*

Abstract:

This study came to define the concept of social intellectual illness as it is one of the concepts that carries a cognitive content that contributes to understanding social issues and emerging problems in societies. There is a standard defect in the level of the individual's understanding and it was concluded in this study that the social intellectual illness is a process resulting from the existence of a defect at the level of the social network, especially those false interactions and actions (the social illusion of the act), which does not express the existence of a real act practiced without forgery that leads to all of that To produce a social intellectual disease.

Keywords : *disease, social disease, social intellectual disease, action, anemia.*

- المؤلف المرسل: آمال كزيز، البريد الالكتروني: kezizsabrine@gmail.com

1- مقدمة:

يعيش الفرد تقلبات حياتية على مستويات عديدة منها المجال الاجتماعي أو ما يعرف بواقع الممارسات اليومية التي تعتبر البيئة التي من خلالها يستطيع الفرد التفاعل والتعامل من خلال سلوكيات وأفعال تختلف حسب الهدف والموقف الاجتماعي، يبني فيها الفرد ثقافة التعامل الاجتماعي التي تنطلق من فهم محددات التنشئة الاجتماعية كعملية أساسية، ومن جهة أخرى مجموع المعايير والقيم الاجتماعية التي يتفاعل بها الفرد أو يكتسبها.

هذا ما قد يحقق مبدأ تحقيق التوازن والاستقرار الاجتماعي، لكن إذ ما استحدثت محددات دخيلة تحول تلك القيم إلى خلل كبير على مستوى عملية التفاعل الذي ينتج لنا مجموعة من المشكلات الاجتماعية المختلفة، التي اختلف تناولها حسب كل منظور وتفكير سوسيولوجي، وبما أننا في مجال علم الاجتماع وجدنا أنفسنا ننساق لطرح موازن للمرض الاجتماعي مع تحديد المعنى الذي نود طرحه وهو المرض الفكري الاجتماعي.

وعلى هذا الأساس يعد تناول المرض الفكري الاجتماعي بهذه المفاهيم الثلاثة محصلة للتأمل في الواقع الاجتماعي وما نعيشه في حياتنا اليومية في أبسط ممارساتنا الاجتماعية، إننا لا نريد طرح فكرة المرض الاجتماعي لوحدها كما جاء بها "مالك بن نبي" التي يعني بها فساد العلاقات الاجتماعية انطلاقا من تضخم الذات بل نريد ربطها أيضا بطريقة وأسلوب تفكير الفرد أو ثقافة الفرد ومفهوم الوهم الاجتماعي الذي غالبا ما يؤدي إلى تضخم الذات وظهور أفكار مرضية واهمة لا تعبر عن حقيقة ممارسات الفرد لأفعاله.

من خلال الملاحظة العلمية الدائمة قمنا باكتشاف العديد من الأفكار والأفعال الواهمة التي قمنا بترجيحها كنتيجة مرض أو خلل على مستوى تفكير الفرد، كأن نعطي مثالا بسيطا حول رمي الأوساخ في الشارع رغم وجود أماكن مخصصة إلا أننا نجدها ملقية على الأرض، أيضا الكذب والنرجسية، التفاخر والتباهي الواهم .... وكأنها دلالات على فقدان الفرد المثالية المعقولة في حياته.

بحكم التخصص العلمي أردنا الحديث عن المرض الفكري الاجتماعي على مستوى المجتمع والمجال التربوي وإبراز مفهوم الوهم التربوي أيضا لإعطاء نظرة شاملة عما نريد طرحه من أفكار نرى أنها تستحق التمعن والبحث العلمي.

لذا تكمن مشكلة الدراسة الرئيسية في محاولة بناء مفهوم سوسيولوجي للمرض الفكري الاجتماعي وارتباطه بمفهوم الوهم الاجتماعي والتربوي كمتغيرات متداخلة تطرح بدورها العديد من الأفكار المستحدثة علميا تنطلق طبعا كما أشرنا من مفهوم المرض الاجتماعي والأنومي كمحددان رئيسيان لتشكل هذا المفهوم.

أما هدف دراستنا يكمن في:

محاولة تحديد مفهوم المرض الفكري الاجتماعي إنطلاقا من مبدأ وتصور "مالك بن نبي" لمفهوم المرض الاجتماعي القائم على فساد شبكة العلاقات الاجتماعية، التعرف على أسباب حدوث المرض الفكري الاجتماعي من الجانب الاجتماعي والتربوي، من خلال الجمع بين منظورات سوسيولوجية ساهمت في تقريب الصورة وتوضيحها.

2. مفاهيم أساسية

قبل التطرق لفهم المرض الفكري الاجتماعي لابد لنا أن نسلط الضوء على بعض المفاهيم الأساسية من خلال تعريفها وفهمها، كوسيلة مساعدة على تحديد إطار مفاهيمي رئيس لبناء التصورات العلمية لتلك المفاهيم التي نود طرحا، ويجدر بنا الإشارة هنا أن بعض المفاهيم غير محددة سوسيولوجيا لذا قد لا يتمكن الباحث من إعطاء مفهوم دقيق حول الظاهرة.

1.2. المرض:

المرض هو خلل يصيب الفرد ويسبب نوعا من القلق لا يمكن التنبؤ بأعراضه دائما ويرتبط بنشأة الفرد منذ القدم وقد يكون المرض بشدة يمكن شفاؤها وقد يكون المرض مميتا، وهذا الخلل (المرض) له تأثير على الحياة الاجتماعية وتفاعلات الإنسان. بتصرف عن -(Carole. 2017.p03)

وهو أي مرض يخل بأحد وظائف جسم الإنسان ويختلف المرض حسب نوعه فقد تكون الأمراض حميدة أو خطيرة، وهي تؤثر على الفرد ووظائفه. - بتصرف عن - (Bernard.2003. p04) نفهم من خلال هذا التعريف أن المرض يرتبط بالجانب البيولوجي للفرد كما يؤثر على هذا الجانب ووظائف جسم الفرد.

في تعريف آخر نجد المرض يعبر عن الحالة الذي يحدث فيها نوع من الخلل إما من الناحية العضوية أو العقلية أو الاجتماعية، للفرد من شأنها إعاقة قدرته على مواجهة أقل الحاجات اللازمة لأداء وظيفة مناسبة.

وعادة ما يحدث المرض نتيجة قصور عضو أو أكثر من أعضاء الجسم يحول دون تحقيق دوره البيولوجي أو الاجتماعي (رياب، 2021، ص82) أيضا ركز هذا التعريف تقريبا على أبرز الأفكار التي جاءت في التعريف السابق وهو ما يدل على أن أغلب تعاريف المرض ترتبط بالجنب الفسيولوجي للفرد.

كما يعرف المرض على أنه أي انحراف ضار عن الحالة الهيكلية أو الوظيفية الطبيعية للكائن الحي يرتبط عمومًا بعلامات وأعراض معينة ويختلف في طبيعته عن الإصابة الجسدية. يظهر الكائن الحي المصاب عادة علامات أو أعراض تدل على حالته غير الطبيعية. وبالتالي يجب فهم الحالة الطبيعية للكائن الحي من أجل التعرف على السمات المميزة للمرض. ومع ذلك فالفرق الحاد بين المرض والصحة ليس واضحًا دائمًا.

تسعى دراسة المرض علم الأمراض كونه ينطوي على تحديد سبب (مسببات) المرض، وفهم آليات تطوره (التسبب في المرض)، والتغيرات الهيكلية المرتبطة بعملية المرض (التغيرات المورفولوجية)، والعواقب الوظيفية لهذه التغييرات وتحديد سبب المرض بشكل صحيح ضروري لتحديد المسار الصحيح للعلاج. بتصرف عن: (Dante G. Scarpelli: https://bit.ly/3Dr8DMw)

وهو " البناء البيوطبي للمرض من الناحية البيولوجية، يصنف المرض ويشخص اعتمادا على مجموعات، حسب أعراضه، وعلاماته، وطبيعته. وهذا التصنيف العلمي لا علاقة له بالبناء الثقافي، حيث هناك ما يعرف بالتصنيف الدولي للأمراض بإشراف المنظمة العالمية للصحة . لكن من ناحية أخرى هناك أمراض بالرغم من أن الأعراض والعلامات التي تحدد المرض قد توفرت في مجتمع معين، لا تعد مرضا في مجتمع أخر، بل على العكس تعد علامة صحة وسلامة (مثال ذلك أمراض نزلة البرد والتوعك الصحي)". (محمود، دس، ص83)

إن محاولة الإحاطة بمفهوم المرض يدل على أنه يركز على جوانب مرضية خاصة الفيسيولوجية المشكلة لأنماط من المرض البيولوجي وهو المفهوم الشائع للمرض في المجالات العلمية غالبا، ويمتد أيضا لعلم النفس العيادي الذي يعنى بالتفسيرات النفسية والعيادية للأمراض.

في حين نعتمد على مفهوم المرض الذي يصيب فكر الإنسان أو طريقة وأسلوب التفكير التي تحدث خللا على مستوى التناول السليم المنطقي للأفكار والأفعال، وهذه الفكرة غير متطرق لها كبناء معرفي سوسيولوجي فقط نجد بعضا من الأبعاد الرئيسية التي تناولها المفكر " مالك بن نبي" وهو ما سنحاول التعرف عليه وربطه بموضوع الدراسة.

2.2. المرض الاجتماعي

من أجل فهم طبيعة مفهوم المرض الفكري الاجتماعي وجب التطرق إلى بعض المنظورات المفسرة لطبيعة المجتمع والفرد، خاصة وأن هذا المفهوم لم يحضا بفهم معرفي علمي سوسيولوجي متأصل ونظرا لأن أقرب مفهوم للمرض الفكري الاجتماعي هو (المرض الاجتماعي) عند "مالك بن نبي" الذي يساعد على بلورة هذا المفهوم ومن هنا نبدأ أولا بفهم طبيعة الفرد والمجتمع عند مجموعة من المنظورات بحيث:

يرى "ابن خلدون" أن كل الظواهر الاجتماعية ترتبط ببعضها البعض، فكل ظاهرة لها سبب وهي في ذات الوقت سبب للظاهرة التي تليها لذلك كان مفهوم العمران البشري عنده يشمل كل الظواهر سواء كانت سكانية أو ديموغرافية أو اجتماعية، سياسية، اقتصادية أو ثقافية.

يقول في ذلك: " فهو خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة هذا العمران من الأحوال مثل **التوحش والتآنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض**، وما ينشأ عن الكسب والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. **(**بختة،2017، ص13)

أما الوظيفية يؤكد فيها **"دوركهايم" أن** الإنسان ليس كائنًا أخلاقيًا فقط بل يعيش في إطار جماعات، لأن الأخلاق تتكون من التضامن ويختلف هذا التضامن "بالنسبة له بحيث هناك نوعان من التكافل الاجتماعي هي:

أ) التضامن الميكانيكي:

التأكيد على مبدأ التشابه يوحد الأفراد في المجتمع ويعزز التماسك الداخلي، وهو قوي الوعي الجماعي والقسر الشديد على الأفراد وانتشار القانون القمعي.

ب) التضامن العضوي:

تقسيم كبير للعمل وتخصص الوظائف ما يوحد الأفراد هو الترابط بين الوظائف الاجتماعية. (Sandro. 2018.p689)

" إن ملاحظة "دوركهايم" حول المشكلات الاجتماعية لها طابع واسع الانتشار، أي لم يكن هناك مجتمع لم تكن فيه أي انحرافات عن قاعدة منظومة المعايير الاجتماعية التربوية وفي هذا الصدد، لا ينبغي أن تُفهم الجريمة في البداية على أنها علم أمراض اجتماعي - بمعنى اضطراب أساسي في المجتمع؛ على العكس من ذلك فإن الجريمة في المجتمعات الحديثة التي تتميز بمحددات أخرى معيارية توضيح القواعد الاجتماعية من خلال الانحراف نفسه والمعاقبة على خرق القاعدة تصبح شرعية القاعدة مرئية لجميع أفراد المجتمع وتؤكد صحتها. (zuletzt.2019.NP)

في حين يرى "**مالك بن نبي**" أن تطور المجتمع يستوجب قوة **شبكة العلاقات الاجتماعية** وأي ضعف في هذه الشبكة يؤدي إلى إصابة المجتمع بالأمراض وهذا ما يؤدي بدوره إلى هلاك هذا المجتمع حتى وإن كان يملك كل الموارد المتعلقة بالأشخاص والأفكار والأشياء، يقول في هذا الصدد: " إذا ما تطور مجتمع ما على أية صورة فإن هذا التطور مسجل كما وكيفا في شبكة علاقاته، وعندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة تصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، ذلك أمارة على أن المجتمع مريض وأنه ماض إلى نهايته.

أما إذا تفككت الشبكة نهائيا، فذلك إيذان هلاك المجتمع وحينئذ لا يبقى منه إلا ذكرى مدفونة في كتب التاريخ". (زكية، 2019، ص83)

"فمن بين أهم الأسباب التي تؤدي إلى نهاية المجتمعات برأي "مالك بن نبي" هو حدوث تضخم في 'الأنا' عند الفرد مما يؤدي إلى اختفاء 'الشخص' وظهور 'الفرد'، فيصعب عليه العمل الجماعي فينفصل فعليا عن شبكة علاقاته الاجتماعية وهذا ما يسبب ضمور شبكة العلاقات الاجتماعية حيث يؤكد ذلك في قوله" :

العلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلا، إذ يدور النقاش حينئذ لإيجاد حلول للمشكلات بل العثور على أدلة وبراهين" فالعلاقات الاجتماعية الفاسدة - كما يسميها "مالك بن نبي"- في عالم الأشخاص تؤثر في عالم الأفكار وعالم الأشياء". (زكية، 2019، ص83)

ويبدأ حديثه عن المرض الاجتماعي على أن فساد العلاقات الاجتماعية يبدأ من الذوات فيقول " إنّ العلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعباً أو مستحيلاً إذا؛ إن المجتمع يدور فيه النقاش حينئذ لإيجاد المشكلات بدلاً من محاولة إيجاد علاج فعال لهذه المشكلات" إن انهيار أغلب المجتمعات كما حصل للإمبراطورية الآشورية القوية في القرن "الخامس قبل الميلاد" لم يكن هذا الحدث التاريخي ليُعزى، إلى مصادفة الحرب ولكن تحلل المجتمع الذي كان يمثل هذه الإمبراطورية والذي أصبح فجأةً عاجزاً عن أي نشاط مشترك فعلاقاته الممزقة لم تعد تتيح له أن يحافظ على إمبراطورية آشور بانيبغل القوية ". (عيسى: https://bit.ly/3wJwcyF)

وفي كتاب (الثقافة التربوية، 2020) عرف المرض الفكري الاجتماعي بأنه:

" تشكل لمجموعة من المعاني والرموز بلاوعي للأفعال الممارسة في المواقف الاجتماعية المختلفة والتي تعيق التفاعلات الاجتماعية وتحد منها ومن فاعلية تكوين العلاقات الاجتماعية والتواصل الاجتماعي بين أفراد الجماعة ومنه تظهر العديد من الأفعال المخالفة للقيم المتعارف عليها ".

كما يمكن تعريفه بأنه:

" فقدان الفرد لمعنى التعايش الحضري بين الجماعات نتيجة لعدم تقبل بعض التغيرات الاجتماعية على مستوى الفرد والجماعة، وهو أيضا رد فعل للأفعال والتفاعلات الغير مقبولة في ذهن الفرد (الرموز والمعاني التي يعطيها الفرد حول موقف ما) ". (كزيز، 2020، ص128)

ومن هنا تكمن العلاقة السببية في ظهور المرض الفكري الاجتماعي كالتالي:

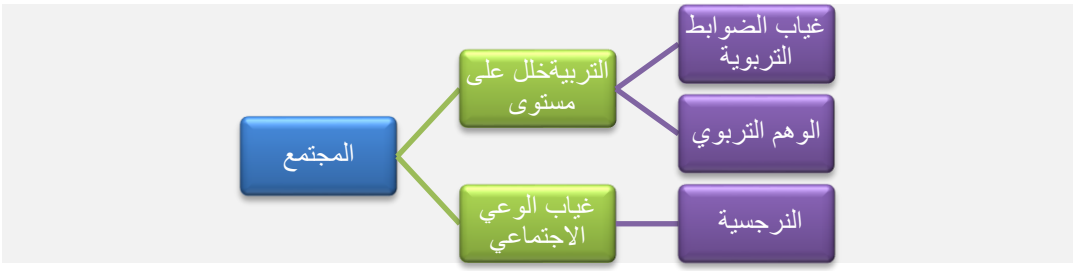

المصدر: إعداد الباحثة

شكل رقم 01 يوضح العلاقة السببية بين عناصر تشكل المرض الفكري الاجتماعي

3. التحليل السوسيولوجي لمفهوم المرض الفكري الاجتماعي

يفسر "ابن خلدون" المجتمع من خلال الحديث عن الظاهرة الاجتماعية كظاهرة وكسبب ظهور ظاهرة جديدة، وهو ما يعكس لنا طبيعة تشكل المرض الفكري الاجتماعي كمعطى ناتج عن جل العصبيات وتقلبات البشر كما أسماها التي تنتج لنا أفعال اجتماعية قد تكون خارجة عن إطار القيم الاجتماعية التي تحكم المجتمع وأفراده.

إذا قمنا بربط المرض الفكري الاجتماعي بالظاهرة الاجتماعية نجد أن هناك ظواهر اجتماعية أصبحت سببا في حدوث خلل على مستوى تفكير الفرد بحيث تصبح أفعاله خارجة عن نطاق ما يجب أن يكون ويتجه نحو العصبية في طرح القضايا

الاجتماعية. إن المرض الفكري الاجتماعي ينتج أيضا عن وجود خلل في تركيبة الفرد الفكرية وتقلباتهم اتجاه المواضيع والتفاعلات بحيث ينسحبون غالبا إلى الأنانية والمصلحة الشخصية.

بالنسبة "لدوركايم" فيرى أن المجتمع بناء يتكون من مجموعة الأبنية التي تكمل بعضها البعض من خلال الأدوار وأن استقرار المجتمع نتيجة التكيف الاجتماعي والتضامن العضوي والآلي، لكن يركز أيضا على مفهوم الأنومي الذي يعتبر أحد ظهور المشكلات الاجتماعية كتعبير عن وجود خلل معياري وهو الأمر نفسه بالنسبة للمرض الفكري الاجتماعي.

فوجود خلل معياري على مستوى تفكير الفرد يؤدي إلى وجود مرض فكري اجتماعي فعلى سبيل المثال يعتبر رمي الأوساخ في الشارح فعلا غير مقبول اجتماعي فهناك أماكن مخصصة لذلك لكن الفرد الذي على دراية بمكان رمي الأوساخ ويرميها في الشارع يعتبر مريضا على مستوى تفكيره فكيف يمكن الحفاظ على نظافة مجتمعنا إذ انتشرت هذه الأفعال؟ كما ترتبط أيضا بمجال التنشئة الاجتماعية وعملية التطبيع والتطبع الاجتماعي.

فالطبع " هو ما تفرضه بيئة الإنسان وتكوينه توافقياً لتنتج منظومة قيم خاصة بشخص ما، وقد يتشابه فيها شخصان أو عدة أشخاص وقد تكون حميدة كما الإحسان وقد تكون ذميمة كما الشدة والغلظة في القول والفعل، فأما الأولى تكون عادة تابعة لأصحاب الرخاء في عيش الذين لم يكونوا أغنياء نتيجة تأثير سلطة أو مناصب.

بل هم غالباً من العصاميين بالتالي تزيد لديهم نسبة الإحساس بالمجتمع كونهم عاشوا تجربتهم في فترة ما، وإن لم يحافظ أصحاب هذا الخلق على ممارسته وتدريب ذريتهم عليه فقد يختفي تدريجياً انتهاء الجيل الثاني". (كزيز، 2021، ص23)

نفهم من خلال هذا أن الطبع الذي يكتسبه الفرد خاصة من بيئته وتنشئته إما يسهم في تشكل المرض الفكري الاجتماعي أو أن يكون أحد المحددات الرئيسية في القضاء عليه، وفي نفس المثال السابق إن الأسرة التي تفرض مبادئ اجتماعية ثقافية حول عدم رمي أطفالها الأوساخ في الشارع تكسبهم طبعا دائما، في حين لا مبالاتهم يدل على غاب الثقافة التربوية للأسرة وتصبح الأسرة كآلية لإنتاج المرض الفكري الاجتماعي.

علاقته بالفكرة: الفكر ركيزة هامة في حياة الأفراد ودليل على حيويتها وتقدمها، أو على جمودها وتخلفها، وفي ميدانه تحسم نتائج مختلف أشكال الصراع فيها، فمن ينتصر بأفكاره يضمن لنفسه الانتصار في جميع مجالات الحياة، وهذه القيمة للأفكار ليست بدعة.

ذلك أن النشاط الهادف المثمر والعمل المنتج الفعال هما وليدا فكرة تترسخ في عقل صاحبها، فتضع للفعل حوافزه وترسم له أهدافه وتحدد له مسالكه ووسائله اللازمة، انطلاقا من المعطيات الواقعية التي تحيط به وهذا حتى تجعل منه شيئا مقصودا ممكن التحقيق من غير هدر للجهد والمال والوقت. (بوبيش، 2013، ص-132131).

ويركز "مالك بن نبي" في معالجته لمشكلة الأفكار على الدور الوظيفي للفكرة، أي على فعاليتها الاجتماعية، وليس على قيمتها الفلسفية المجردة، ففي منطق هذا العصر لا يكون إثبات صحة الأفكار بالمستوى الفلسفي أو الأخلاقي بل بالمستوى ***العملي: فالأفكار*** تكون صحيحة إذا هي ضمنت ***النجاح.*** (بوبيش، 2013، ص132-131).

في حين **التطبع** الذي يعرف بأنه "ما يجده الإنسان من صفة موافقاً لهواه وقريباً من نفسه، فيقرر أن يتملكه رغبة في الأفضل، وقد يجبر عليه جراء ظروف مرت به ليس له إرادة في تغييرها، ولا يتشابه اثنان في كيفية تنفيذ وممارسة التطبع لخلق ما فقد يقرأ أحدهم الكرم من منطق أنه يحب الذكر الحسن وقد يراه آخر بمنظور أن البذل يريح النفس ويؤلم الشيطان.

وتختلف طرق الحصول على الطباع واكتسابها، ففي الأغلب يكون التطبع جراء بيئة جديدة حصل عليها الإنسان فأجبرته على ممارسة فعل ما، حتى وإن لم يوافق هذا الفعل (الخلق) نفسه ومنظومته القيمية، ولكنه يجده ممتعاً من مبدأ

المجاراة وقد يمارسه ليتجنب الاحتكاك بأحد، وقليلاً ما يكون الحصول على خلق (صفة حميدة) من بيئة دخيلة محموداً ففي الأغلب إن جُبر الإنسان عليه فإنما يمارسه طوال تواجده في تلك البيئة فقط."(كزيز، 2021، ص23)

وللتطبع هنا معنى مشكل لفعل ما كنتيجة للتفاعلات مع بيئات أو مجالات جديدة فرمي الأوساخ في الشارع أيضا قد يكون صفة اكتسبها من مجال تفاعل خارج عن الأسرة وأحيانا يكتسب صفة عدم الرمي كفعل محبب بوعي.

كل تلك النقاط التي تم التطرق لها تنطلق من الأنومي أو وجود خلل معياري على مستوى الجماعات والتفاعلات والعلاقات الاجتماعية أيضا ويعاد إنتاج الأنومي في واقع حياة الفرد اليومية وهو مسبب رئيسي للمرض الفكري الاجتماعي الذي يظهر أيضا في: الكذب، السرقة، رمي الأوساخ في الشارع، الكلام البذيء ... وغيرها من الصفات والمعاني المنتشرة اليوم التي نعيشها خاصة في حياتنا اليومية.

4. في مفهوم المرض الفكري الاجتماعي / الوهم الاجتماعي

1.4. مفهوم الوهم:

لم يحضا مفهوم الوهم بتعمق علمي خاصة كونه مفهوم جديد ارتبط الوهم فيه غالبا بالإرشاد النفسي إلا أن مفهوم الوهم مفهوم قد ينطلق أيضا من رؤية سوسيو تربوية. تجسد لنا واقع التربية أو (التنشئة الاجتماعية) التي حضت بالكثير من الدراسات العلمية، لهذا قد يركز العديد في التساؤل حول تراجع مستوى التربية في مجتمعنا سواء في البيت، أو المدرسة، أو الشارع، أو المسجد والعوامل التي أدت إلى تراجع القيمة التربوية.

وعليه نعرف الوهم التربوي بأنه:

" فعل يحمل دلالة مؤقتة من معان رموز (احترام، تقدير، هدوء، خوف، ...) في موقف غير دائم / مقصود (مجال غير أصلي/ مجال مؤقت)، كفعل تربوي وهمي غير مصرح به لا يحقق الهدف من التربية وغير معتمد في جميع المجالات (لا يتفاعل به الفرد في المجالات الاجتماعية التي ينتمي لها)؛ بل ينشأ بصورة ظرفية.

كما يمكن تعريفه بأنه:

" قيم ومعان مؤقتة يستخدمها الفرد أو الأسرة كهوية غير أصلية، ليس الغرض منها التربية بل ترتيب اجتماعي لأفعال الطفل تفقد معناها مع زوال الموقف المحدد ". (كزيز، 2020، ص12)

2.4. المرض الفكري الاجتماعي: من خلال ما تم التطرق له يمكن تعريف هذا المفهوم أيضا بأنه:

مجموعة من الأفكار والأفعال الصادرة عن الفرد أو الجماعة نتيجة وجود أنوميا على مستوى عملية التفكير التي غالبا ما تنتج مجموعة من المحددات كتضخم الأنا والنرجسية والوهم الاجتماعي، الأفعال، والصفات المرفوضة، وهي تعبير عن غاية لإرضاء نفس الفرد دون مراعاة الآخر وغالبا ما لا يشعر الفرد فيها بأنه مخطئ.

والمرض الفكري الاجتماعي حالة اجتماعية ترتبط بفكر الفرد وذاته تؤدي إلى غياب التعايش الحضري بين الجماعات والأفراد، وينتج عنها أفعال واهمة غير حقيقية.

- أسباب ظهور المرض الفكري الاجتماعي:

- تضخم الأنا (ونقصد بها هنا تضخم أنا الفرد أو ذات الفرد) التي تنعكس سلبا على مجمل تفكيره وأفعاله.

- النرجسية وحب الذات، وهي نقطة مكملة للعنصر الأول فالنرجسية الزائدة تؤدي لتضخم ذات الفرد بحيث تصبح أغلب أفعاله وتفاعلاته تنطلق من أفعال واهمة.

- المعان المسيئة (الحقد- الكراهية ...) المعاني المسيئة تؤثر بشكل كبير على الروابط الاجتماعية خاصة الحقد والكراهية التي لا تنتسب للفرد المسلم إذ ما تحدثنا عن ذلك، فنجد أن الحقد والكراهية معان ناتجة عن الغيرة الاجتماعية (النجاحات – التفوق – التميز ...) رغم أن هناك بعض الأفراد بقدرات متساوية لكن يبقى تحقيق التميز والنجاح جهد يبذل بتفاوت وهو غالبا ما نعبر عن بالجد والسعي الهادف.

- الكذب على الذات والآخر؛ بالنسبة لهذه الفكرة تهدف إلى توضيح مدى تأثير الكذب على حياة الفرد فأحيانا يقنع الفرد نفسه ببعض الأفكار التي لا تنتمي لواقع حياته وممارساته الاجتماعية والثقافية ويصدق رغم ذلك تلك الأفكار فمثلا نجد أن الفرد أمام جماعة ما ينسب العديد من الصفات لشخصه وهو على دراية بأنها لا تمثله، أو كذب فرد في جماعة حول موضوع ما وتبقى تلك الفكرة (الكذبة) مرسخة في ذهنه حتى يصدق أنها حدثت له فعلا.

- أنومي أو الخلل المعياري في المجتمع؛ قد نرى بعض الأفراد تصدر عنهم مجموعة من الأفعال الغير مقبولة مثلا عندما نجد بعض الأفراد بهيئة منظمة وراقية لكن تصدر عنهم أفعال غير مقبولة لا تلاءم طبيعة هويتهم كرمي الأكواب من نوافذ سيارتهم أو الأوساخ ... وكأن لا يتقبل جراك نصيحة لأبنه التي يرى فيها تدخلا في شؤونه ...

- الوهم الاجتماعي أو الفكر الزائف؛ نقصد بالوهم الاجتماعي كل الأفعال والأفكار التي يعمل بها الفرد مع جماعات معينة بهدف إيصال فعل مثالي؛ مثال على ذلك محاولة الأسرة أن تكون صورة ابنها أمام بعض الزائرين بشكل مثالي (تربية مثالية) في حين تتوقف (التربية المثالية) مع ذهاب الزائر وهنا يظهر لنا أن الفعل التربوي بات مؤقتا وتتحكم فيه محددات أخرى وكلها دليل على زيف الفكر الإنساني.

5.مؤسسات التنشئة الاجتماعية إنتاج المرض الفكري الاجتماعي

الأسرة - عالم الطفل الأول هو عالم عائلته. إنه عالم في حد ذاته، مجال يتعلم الطفل فيها أن يعيش ويتحرك وأن يكون له كيان بداخلها، لا ترتبط وظائف الأسرة فقط بالمهام البيولوجية للولادة والحماية والتغذية.

ولكن أيضًا تطوير تلك الارتباطات الأولى والحميمة مع أفراد الأسرة من مختلف الأعمار والجنس الذي يشكل أساس تنمية شخصية الطفل. الأسرة هي الوكالة الأساسية للتنشئة الاجتماعية يطور فيها الكفل إحساسًا أوليًا بالذات والتدريب على العادة - الأكل والنوم وما إلى ذلك، وهي إطار تفاعلي يتم فيه تلقين الخبرات الأولى كما أشرنا في ذلك إلى علية التطبيع. - بتصرف عن: (Archna.ny. p02)

يجب أن يُنظر إليه من منظور مساهمته في تربية الطفل بشكل عام وهو أمر حاسم لتكوين هوية فاعلة للطفل من أجل التحضير لعيش حياة مستقلة. من ناحية أخرى، يجب التركيز على الأسرة ككل ودور الأطفال الذي يجب أن يقوم على نهجهم ومساهمتهم فيما يتعلق بمشاكل الأسرة.

والتي يجب التعامل معها وحلها نهائيًا لذا تقديم الدعم التعليمي للأطفال من والديهم فيما يتعلق بقضايا مثل الواجبات المنزلية، من شأنه أن يساعد الأطفال على إنشاء روتين يومي للتعلم. (Ardita. 2016.p63)

كما العلاقات الإنسانية الأولى للطفل هي مع الأعضاء المباشرين له - الأم أو الأشقاء والأب والأقارب الآخرين. هنا يختبر الحب والتعاون والسلطة والتوجيه والحماية. وطبيعة اللغة (لهجة معينة) يتم تعلمها أيضًا من الأسرة في مرحلة الطفولة. لا ننسى تصورات السلوك المناسب لجنسهم وهي نتيجة التنشئة الاجتماعية.

فهناك جزء كبير من هذا يتم تعلمه في الأسرة كفاعلين أساسيين لـ التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة، ويلعب الآباء فيها دورًا حاسمًا في توجيه الأطفال إلى حياتهم التي تعتبر تحديدا لأدوار الجنسين في المجتمع. من خلال التركيز على السلوك إما بوعي أو بغير وعي. بتصرف عن: (Archna.ny. p02)

يمكننا أن نستنتج أن التعليم في مباني الحياة الأسرية له ضعف المعنى لذا التركيز وجب أن يكون على:

تحفيز النهج التربوي التعليمي من قبل الوالدين أنفسهم، من خلال مدح والتباهي ومكافأة الأطفال فيما يتعلق بطريقة أدائهم في هذه المهمة هذا النهج كقيمة من شأنه أن يرفع داخل الأطفال الشعور باحترام أفراد الأسرة الآخرين. واستخدام التربية وأساليب التربية شكل تفاعل ذكي، كأحد أفضل الأمثلة المعروفة تجاه نهج شامل إيجابي لوظيفة تربوية وتشكيلية مع الأطفال، الذين أصبحوا فيما بعد مواطنين ناجحين وتقديم الدعم التربوي لهم من والديهم في أمور مثل تحضير واجباتهم المدرسية. – بتصرف عن: Ardita. 2016.p63))

يعني ذاك أن هناك أيضا السلوك الغير الأخلاقي الشائع في المجتمعات التي لديها مؤسسات تربوية ضعيفة، والمعايير المعيبة وتاريخ من الأنشطة الفاسدة وهو ما ربطناه بمفهوم المرض الفكري الاجتماعي في المجال التربوي ومع ذلك بالكاد تبحث الدراسات عن تفسيرات حول تلك المشكلات على الرغم من الجهود المستقلة في المنظورات العلمية، بحيث هناك اتفاق على توجه الفرد نحو الفردانية في التفاعلات التي قد تحدث نوعا فارقا في الفعل الاجتماعي السليم. وهي نمذجة جديدة حول الفساد الاجتماعي على مستوى شبكة العلاقات الاجتماعية – بتصرف عن: (Carlos. 2010.p10)

لذا يرى "مالك بن نبي" بأن مجتمع ما بعد الحضارة (ما بعد الموحدين) هو مجتمع متفسخ، استولت عليه الجراثيم والأمراض وتكاثرت مع الزمان فهو لم يعد يقدر على ردعها لأن جهازه المناعي قد انهار ولما كان الهدف من التغيير الاجتماعي عنده هو بناء حضارة، فإن الهدف كي يتحقق عند إعادة بناء الحضارة يتضح فيها أن القضية في هذه الحالة ليست تبديل بناء حضاري ببناء حضاري، ولا هي قضية سد فراغ حضاري تعيشه شعوب العالم الإسلامي وإنما هي تحديد الداء الذي يشكوا منه هذا العالم من منظوره التاريخي ليس إلا. (بوبيش، 2013، ص131)

في حين تصف نظرية الشذوذ "لدوركهايم" آثار التقسيم الاجتماعي للعمل الذي نشأ في التصنيع المبكر ومعدل الانتحار وفقًا لذلك في أوقات الاضطرابات الاجتماعية إلى وجود ضعف "الوعي الجماعي" وتضاءل المعايير السابقة والقناعات والضوابط الأخلاقية.

إن المبادئ الهيكلية الاجتماعية القديمة القائمة على توحيد أفراد المجتمع وأنماط حياتهم آخذة في الاختفاء وأصبحت منقسمة وحل محلها مبدأ العمل هنا يعد تقسيم العمل أكثر من مجرد مبدأ اقتصادي ولكنه يمثل قاعدة القيمة الاجتماعية المركزية والتضامن بين أفراد المجتمع.

وفي الأزمات بشكل عام وحالات الانتحار أو حتى الجرائم هي علامات على الظروف المرضية الاجتماعية التي تهدد المبدأ الهيكلي الجديد لتقسيم العمل كحالة من الشذوذ (عدم انتظام) مهددة المجتمع. (zuletzt.2019.NP)

6. خاتمة

في الحقيقة إن هذا الموضوع يعتبر مدخلا مفاهيميا يركز على تناول المرض الاجتماعي ومفهوم المرض الفكري ومجموع المنظورات التي تتقاطع معه، فأردنا إبراز أهمية الإحاطة بفهم الفرد للمواضيع الاجتماعية وما يتعلق بها من حياته اليومية وممارسات أفعاله وتفاعلاته التي قد تخرج عن معايير المجتمع.

وبهذا الصدد ينتقل تفكير الإنسان من الفكرة السليمة المبنية على المنطق إلى الفكرة المرضية التي تشكل خللا معياريا كبيرا يجعل من تلك الأفعال مصابة بخلل معياري يعد سببا في ظهور مشكلات عديدة.

بحيث تختلف النظرة العامية للفرد عن النظرة العلمية هذه الأخيرة تنطلق من محاولة فهم الظاهرة والبحث عن أسبابها لهذا جاءت هذه الورقة البحثية كورقة أولى للتعريف بالمرض الفكري الاجتماعي لننطلق بعدها في دراسات أخرى لدراسة المرض الفكري الاجتماعي من زوايا عديدة تربوية واجتماعية وغيرها تلتقي كلها في هدف واحد.

استخلصنا أيضا أن الفرد غالبا ما يعاني من وهم اجتماعي أو ما يعرف أيضا بالوعي الزائف يختلف الوهم الاجتماعي في كونه مجموعة من الأفكار الغير حقيقية الواهمة التي يقوم الفرد بتصديقها بهدف تحقيق المثالية أمام الجماعات الأخرى، وهي مسببة بشكل كبير للمرض الفكري الاجتماعي أو تنطلق منه بالأحرى.

فما نشهده مثلا في الجانب الصحي أو الثقافة الصحية في ظل أزمة كورونا هو تخبط على مستوى فهم الفرد للثقافة الصحية والتي غالبا ما جعلته منسحبا لها خوفا من تطبيق القوانين عليه، وعدم احترام أساليب الوقاية والحجر في فترة زمنية دون أخرى كلها تجعله فردا واهما بتطبيق تلك الإجراءات التي لا تحقق هدف الرعاية الصحية.

أما إذ تكلمنا على الجانب الاستهلاكي له فمؤخرا نجد تسابق كبير في شراء السع وتخزينها فغياب ثقافة الاستهلاك حتى لدى الطبقة المثقفة تجعلها في وهم وعي اجتماعي زائف يجعنا نقف برهة أماك فكرة جدلية السيد والعبد بحيث نحن من نتيح الفرصة لمثل هذه الظواهر المنتشرة مؤخرا، أما في الجانب التربوي فما رأيكم في تربية الأسرة التي تختلف طرائق وأساليب التربية فيها (تختلف من أمام جماعة لأخرى) تجعل من الأسرة عاملا في تشكل تقلبات مزاجية للطفل على مستوى عملية التربية.

هذه بعض الأمثلة فقط البسيطة وكلها تنطلق من واقع ممارساتنا الحياتية اليومية بين الجماعات ومع الجماعات التي نتعايش ونعيش معها في نفس الوقت.

جدول رقم 01 / يوضح بعض الأمثلة حول مؤشرات المرض الفكري الاجتماعي

أمثلة حول المرض الفكري الاجتماعي	السبب
النرجسية	تضخم الأنا
الكذب – الحقد – الغيرة	تضخم الأنا / غياب القناعة الإنسانية / الابتعاد عن قيم الدين الإسلامي
السرقة- الجريمة	غياب الضوابط النفسية الدينية / غياب المراقبة الذاتية
رمي الأوساخ	غياب الوعي الجمعي والفردي والقوانين الضابطة
غياب التربية السليمة (غياب المراقبة المتابعة)	نقص الثقافة التربوية

المصدر: إعداد الباحثة

7. قائمة المصادر المراجع:

بختة بن فرج الله (2007). إسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية. جامعة الشهيد حمة لخضر-الوادي. جملة الدراسات والبحوث الاجتماعية. العدد 2

بوبيش فريد (2013). الاستراتيجية التربوية للتغير الاجتماعي عند مالك بن نبي .دراسات نفسية وتربوية. ع11.

زكية العمراوي (2019). الفكر الاجتماعي عند مالك بن نبي – قراءة سوسيو مفاهيمية - في كتاب ميلاد مجتمع، الجزائر. مجلة البحوث والدراسات الإنسانية. م 9 ع19.

كزيز امال (2020)، الثقافة التربوية. برلين، ألمتنيا. المركز الديمقراطي العربي.

كزيز امال (2021)، فرد وثقافة تأملات سوسيو ثقافية. دار ومضة للنشر والطباعة والتوزيع. جيجل الجزائر.

رياب رابح (20121)، جائحة كوفيد 19 دراسات سوسيولوجية، المركز الديمقراطي العربي، برلين المانيا.

محمود ذكار (دس). هرمينوطيقا المرض بين العلمي والأنثروبولوجي :مقاربة جديدة في فهم المرض، https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/79/2/1/27437

عيسى السقاري، تشخيص المرض الاجتماعي لدى مالك بن نبي، عمران، الرابط: https://bit.ly/3wJwcyF .

Sandro Serpa,(2018) , Anomie in the sociological perspective of Émile Durkheim. Sociology International Journal. Volume 2 Issue 6.

Ardita Ceka (2016). The Role of Parents in the Education of Children, Journal of Education and Practice www.iiste.org (Online) Vol.7, No.5

Archna kumari nd, B.A. PART-I(SOCIOLOGY) PAPER-I (Principles of Sociology) ,Topic- Agencies of Socialization. http://magadhmahilacollege.org/wp-content/uploads/2020/09/Agencies-of-Socialization.pdf

zuletzt aktualisiert (2019) Concept of Anomie (Durkheim) https://soztheo.de/theories-of-crime/anomie-strain-theories/concept-of-anomie-durkheim/?lang=en https://soztheo.de/theories-of-crime/anomie-strain-theories/concept-of-anomie-durkheim/?lang=en

Carlos Andrés Uribe Terán(2010) , FACULTAD LATINOAMERICANA DE CIENCIAS SOCIALES SEDE ECUADOR PROGRAMA DE ECONOMÍA DEL DESARROLLO CONVOCATORIA 2008 - 2010 TESIS PARA OBTENER EL TÍTULO DE MAESTRÍA EN CIENCIAS SOCIALES CON MENCIÓN EN ECONOMÍA DEL DESARROLLO CORRUPTION NETWORKS: A SOCIAL NETWORK THEORY AND GAME THEORY APPROACH.

Carole TOUTOY (2017), Notion de maladie.formation.
http://www.ifpssnc.nc/MyKv2/php/_DOCS/SEQUENCES/NH03504284/coursNotiondemaladie.pdf

Bernard Toma, (2003), QU'EST CE QU'UNE MALADIE EMERGENTE ? Epidémiol. Et santé anim.

Arabic references in English:

Bakhta Ben Faraj Allah (2007). Ibn Khaldun's Contributions to Building an Arab Social Theory. University of Shahid Hamma Lakhdar-El Oued. Journal of Social Studies and Research, Issue 2.

Boubich, Farid (2013). Malik Bennabi's Educational Strategy for Social Change. Psychological and Educational Studies, Issue 11.

Zakia Al-Omrawi (2019). The Social Thought of Malik Bennabi – A Socio-Conceptual Reading - in The Birth of a Society, Algeria. Journal of Human Research and Studies, Vol. 9, Issue 19.

Kaziz, Amal (2020), Educational Culture. Berlin, Almetnia. Arab Democratic Center.

Kaziz, Amal (2021), Individual and Culture: Socio-Cultural Reflections. Dar Wamda for Publishing, Printing and Distribution. Jijel, Algeria.

Riab, Rabeh (2021), COVID-19 Pandemic Sociological Studies, Arab Democratic Center, Berlin, Germany.

Mahmoud Zakar (Ph.D.). Hermeneutics of Illness between the Scientific and Anthropological: A New Approach in Understanding Disease, https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/79/2/1/27437

Issa Al-Saggary, Diagnosing the Social Disease in Malik Bennabi's Thought, Omran, Link: https://bit.ly/3wJwcyF.